من أعلام الصوفية في كوسوفا
الشيخ حلمي عبد المالك أفندي
Hilmi Abdylmaliq Efendija–
[1865–1928م]

الأستاذ الدكتور بكر إسماعيل
كوسوفو

إن منطقة البلقان تلعب دوراً مهماً ومحورياً في نقل الحضارة الشرقية والغربية عبر التاريخ بكل معطياتها.ومن ثم اكتسبت هذه المنطقة خصوصية في مجالات متعددة ثقافية وحضارية.

وإذا أردنا أن نتحدث عن الطرق الصوفية وروادها في هذه المنطقة الحيوية من العالم، فإن ذلك لا يعني أن وجود هذه الطرق وانتشارها كان مع الفتح العثماني وانتشار الإسلام، وإنما حدث ذلك قبل دخول العثمانيين بزمن طويل.

فمما لا شك فيه أن الصوفيين الرحالة الذين رحلوا من الشرق إلى البلقان قد وصلوا إلى المنطقة قبل الحقبة العثمانية،

وعلى أيديهم تم غرس اللبنة الأولى للعقيدة الإسلامية في نفوس شعب البلقان بطريقة منظمة ومنهجية.

فقد غرسوا في نفوس الناس الحب والعمل التطوعي والتسامح الصوفي وهذا أدى إلى غرس مناخ عظيم استقطب كل من المسلمين والمسحيين في البلقان.

ومن ثم نشأت الطرق الصوفية ثم انتشرت في البلقان وظهرت التكايا التي أنشئت في كل مكان في شبه جزيرة البلقان؛ حيث تحيط بها المنازل، ثم اتسعت فيما بعد حتى أصبحت قرى ومدناً، بل ومراكز دينية وتعليمية وثقافية وفنية، وأدت الطرق الصوفية دوراً عظيماً ومهماً في إيجاد مناخ ديني متسامح بين شعوب المنطقة.

ولما جاء العثمانيون إلى المنطقة عملوا بسعي حثيث على إرساء قواعد المساواة الوجودية والاجتماعية بين الشعوب، ولذلك اعتنق كثير من شعوب البلقان الطرق الصوفية المتعددة مثل الخلوتية، والنقشبندية، والرفاعية، والبكتاشية، والسعدية، ونحو ذلك، مع احترام حق الناس في حرية ممارسة العبادة والفكر، والمحافظة على ثقافتهم الأصلية، مع الأخذ في الاعتبار

أن احترام الحريات والتسامح تجاه النصارى وغيرهم من أصحاب الملل الأخرى خلق قرآني، وأمر رباني ، رغم أنه عندما وقع النزاع في القرن الثامن عشر وحدثت الحروب والصدامات لم يظهر غير المسلمين نفس التسامح تجاه المسلمين، بل حصلت إبادات، واضطهادات، وعمليات تعذيب تعسفية لا تطاق، وتم القضاء على كل ما له علاقة بالإسلام أو الدولة العثمانية، لكن الخلق القرآني، والأمر الرباني، يوجه إلى التسامح وحرية العبادة والفكر مهما كانت الظروف والأحوال.

وهناك مجموعة من الرواد والأعلام الكبار الذين أثروا مجال التصوف، ولعبوا دوراً فاعلاً في تنمية العلاقات الدينية والإجتماعية والثقافية بين البلقان والعالم الشرقي.

ويعد الشيخ حلمي عبد المالك أفندي واحداً من الأعلام المبدعين والرواد البارزين في إثراء مجال التصوف الإسلامي، وهو أحد كبار مشايخ الطريقة الملامية (أو الملامتية)1 وقبل الحديث عنه وعن دوره البارز في مجال الإبداع التصوفي نتحدث عن مؤسس الطريقة الملامية وأهم تلاميذه ومن اقتفى أثره في اعتناق هذه الطريقة والسير على منوالها.

- **الشيخ حمدون القصار :**

مؤسس الطريقة الملامية وشيخها بنيسابور، وهو أبو صالح حمدون بن أحمد القصار النيسابوري، أحد علماء السنة والجماعة، ومن أعلام التصوف السني في القرن الثالث الهجري، ومؤسس الطريقة الملامية الصوفية، وصفه الشيخ الذهبي في «سير أعلام النبلاء» بأنه شيخ الصوفية، وقد كان عالماً فقيهاً على مذهب سفيان الثوري في الفروع الفقهية، وتوفى –رحمه الله – سنة 271هـ ودفن في مقبرة الحيرة بنيسابور.

سمع من شيوخ وأعلام كبار، تلقى العلم على أيديهم، ونهل من معارفهم، فسمع من محمد بن بكار بن الريان، وابن راهوية، وأبي معمر الهذلي، وصحب ولازم أبا تراب، وأبا حفص النيسابوري2.

أما تلاميذه فقد أخذ عنه وروى كثير من العلماء الأفاضل، فروى عنه ابنه الحافظ أبو حامد الأعمش، ومكي بن عبدان، وأبو جعفر بن حمدان، وغير ذلك كثير.

- **الشيخ الولي الصالح الحاج بيرام:**

من الصوفية الأتراك الذين ظهرت على أيديهم الكرامات والبركات، تعلم وبرع في الفنون والعلوم إلى أن بلغ شأواً كبيراً، ويدل ذلك على أن المجال الصوفي قد لعب دوراً مهماً في تنمية

العلاقات منذ القدم بين الدول والشعوب كما حدث بين منطقة البلقان وبين الشعب التركي3.

هذا وقد ولد الولي الصالح نعمان بن أحمد بن محمود الملقب بالحاج بيرام سنة 753هـ في أنقرة عاصمة تركيا، وبرع في العلوم العربية والإسلامية ونبغ فيها، ثم ذاع صيته كشيخ كبير وأحبه الطلبة والمحصلون، وكان متواضعاً ذا شخصية كريمة تصوف على الطريقة الملامية، ودعا إليها وتوفى سنة 833هـ، وبعد موته ظهرت له كرامات، وقد لعب في حياته دوراً عظيماً في توطيد العلاقات بين البلدان والشعوب عن طريق الدعوة والتدريس والتعبد.

- **السيد محمد نور العربي:**

من مشايخ الصوفية الملامية الكبار، وهو من مواليد مصر، فقد ولد في المحلة الكبرى سنة 1813م، وقد حاز على لقب «قطب» وهو لقب عال في الفكر الصوفي، وتألق نجمه في مسجد الحسين بالقاهرة، ثم انتقل إلى تركيا، ثم زار العديد من مدن البلقان لاسيما مدن كوسوفا، وكان يلقي حباً جماً من شعوب المنطقة وقد لعب دوراً مهماً في تنمية العلاقات الدينية

والثقافية والإجتماعية بين شعوب البلقان وشعوب العالم العربي والإسلامي4.

وقد أخذ عنه مجموعة من شيخ البلقان أمثال رجب أفندي من بريزرن، وحافظ سليمان أفندي من جاكوڤا، وغيرهما.

وكان للشيخ محمد نور العربي نشاط مؤثر جداً في الحياة مع المزيد من الإلهامات والفيوضات الإلهية، وقد ألف اكثر من خمسين كتاباً أثرى بهم الحياة العلمية والروحية، منها : الأنوار المحمدية في شرح رسالة الوجود للسيد الشريف الجرجاني. برهان السالكين في التصوف. بيان تجلى الحق على المراتب. بيان مقامات الحقيقة مع دلائله. لتحفة المحمودية رسالة تركية. تفسير سورة الفاتحة. تفسير سورة الفتح. تفسير سورة يوسف. التمشيش على صلوات ابن مشيش. دائرة الوجود في بيان المقام المحمود. الدر النفيس شرح صلوات ابن إدريس. الدرة في شرح رسالة الغوثية. دليل العشاق. رسالة الإسماعيلية في بيان سلوك النقشبندية. رسالة في بيان الحقيقة والمجاز والكناية. رسالة في بيان الصفات الثبوتية. رسالة في التوحيد. رسالة في كرامات

الأولياء . رسالة المقدمة المطالع فصوص الحكم. سر البناء الحق. سر الأذان المحمدي. شر التوحيد شرح أعيان الممكنات. شرح حقائق الأشياء. شرح أوراد الأسبوعية. شرح رسالة الشيخ رسلان. شرح عقائد النسفية. شرح كلمات نجم الدين الكبرى. فضائل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. كتاب الدوائر والأفلاك في بيان تصرفات صاحب الملك والأملاك. كتاب الرشاد في المبدأ والمعاد. الكنز المخفي عن أهل الحجاب في التصوف. لطائف التحقيقات في شرح الواردات لبدر الدين قاضي سيماو. مجالي الزهري على الصلوات الكبرى. مرج النصوص في شرح نقش الفصوص. مرشد العشاق. مشاهدة التوحيد. منبع النور في رؤية الرسول. هادي العشاق تركي. الياقوت الحمراء على الصلوات الصغرى5.

كما ان للشيخ كتب في الافلاك والأوفاق الروحانية ، ويعني ذلك تأثره بالطرق الصوفية ذات الاصول الفارسية ، ولقد لقب « قطب « وهو أكبر دليل على نشاطة المؤثر جدا في الحياة العلمية والروحية، ونشره الطريقة الملامية في كوسوفا وأكملها خلفائه الاربعة الذين أخذوا العهد منه وهم:

- المدرس رجب خلوصي أفندي من بريزرن6
- حافظ سليمان أفندي من جاكوفا 7
- المدرس مقصود أفندي من بريشتينا 8
- الشيخ يونس أفندي من سوهادول – ميتروفيتسا

وقد اهتم الشيخ/ يونس صبري – Shejh Junuz Sabriu بعد ذلك بنشر الطريقة الملامية بين الألبانيين الذين اهتموا به وبنوا له تكية في قرية Suhadoll وقد تحولت هذه التكية إلى مركز تعليمي ثقافي في المنطقة المحيطة بها، نظراً لأن الشيخ/ يونس صبري كان يعطي الدروس اللغوية والدينية في هذه التكية ، التي كان يمارس فيها أيضا نشاطه الأدبي إلى حين وفاته سنة 1909م. 9

توفى الشيخ سنة 1887م (1305هـ) عن أربع وسبعين عاماً، ودفن بالقرب من ستروميكا في مقدونيا10

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مدى الدور البارز والفعال الذي لعبه مشايخ الصوفية في توطيد العلاقات بين البلدان وخلق روح التعاون والتسامح بين الشعوب.

هؤلاء هم أبرز شيوخ الطريقة الملامية، ومن خلال دراسة حياتهم ومؤلفاتهم وأعمالهم ظهر أنهم كانوا على درجة عليا من الفكر والوعي الأخلاقي والروحي الذي أثر تأثيراً مباشراً في نفوس العديد من الناس واستقطب الكثير من الشعوب لاقتفاء أثر هذه الطريقة لدورها المؤثر في الحياة الدينية والثقافية والإجتماعية والروحية، وما تلعبه الطرق الصوفية من دور مهم فعال في تنمية العلاقات بين البلدان والشعوب.

وبعد هذا الكلام الموجز نتحدث عن شيخ كبير من مشايخ الملامية، شيخ ألباني معاصر من كوسوفا برع في فنون وعلوم عديدة، وشارك مشاركات فعالة في الحياة الفكرية والثقافية.

- **الشيخ حلمي عبد المالك أفندي**– *Hilmi Abdylmaliq Efendija*[**1865– 1928م**]:

من المبدعين الألبان الذين تركوا ثروة في اللغة العربية في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين الشيخ العلامة/ حلمي عبد المالك أفندي *Hilmi Abdylmaliq Efendija* ، وهذا الشيخ يعرف في قومه باسم (الشيخ/ »مالا»مالك – *Shejh*

Mala i Rahovecit) وقد ولد في محافظة راهواتس (*Kopila Gllavë* في *Rrasa e Rahovecit në Drini Podrime*، والده يدعى فيض الله، كان يعمل برعي الأغنام وفي الخريف يشتغل بقطف ثمار العنب**11**

انتقلت عائلة الشيخ/ عبد المالك إلى مدينة راهواتس في السبيعينات من القرن التاسع عشر وكانت تعمل في كافة أنواع المحاصيل الزراعية، والوالد كان يشتغل في بعض الجوامع والمزارات الإسلامية، التي كانت يوجد بجوارها مدرسة ابتدائية باللغة التركية، بدأ الدراسة بها فأكمل تعليمه الثانوي بمدرسة [محمد باشا] بمدينة بريزرن *12. Prizren*

وبعد أن فرغ من التعليم الثانوي انتقل إلى مدينة راهواتس *Rahovec*، وعمل بها إماماً وشيخاً لأحد المساجد، ثم عمل كشيخ للطريقة الملامية بعد جنوحه للتصوف وطريقته، وعلى ذلك عمل مفتياً لمدينة راهواتس وما حولها من القرى[13].

كان الشيخ/ عبد المالك Hilmi Abdylmaliq *Efendija* طوال حياته يمارس نشاطاً ثقافياً مستمراً، فكتب ودرس وقرض الشعر ودونه بالأبجدية العربية، وله أعمال أدبية عديدة.

وكان شخصية إيجابية متفاعلة مع المجتمع وفي حياته الخاصة، متعمقاً في الدراسة طيلة عمره، وقد قرأ كثيراً ودرس اللغة التركية، والعربية، والفارسية، وهذا هو السبب في تعرفه على الفلسفة العربية والفارسية واليونانية أيضا.

وقرأ كثيراً في الآداب باللغات الثلاث، وقرأ التراث الألباني المكتوب بالحروف العربية14

وكان في نشاطه الثقافي والتعليمي والأدبي يهتم ويعتنى بكافة القضايا التي تشغل المواطنين ريفيين ومدنيين، وكتب باللغة الألبانية، وكانت كتاباته تلقى قبولاً وانتشاراً واسعاً في قومه، وكان يسعى جاهداً لاستمرار التعامل باللغة الألبانية ولا يقبل التعامل باللغة الصربية في العائلة.

فكان يكتب أبحاثه ودواوينه بالألبانية، ويحرص حرصاً تاماً في مقدمة كل كتبه على ذكر أنه كتب بالألبانية إصراراً منه على استمرار اللغة والتعامل بها.

ونتيجة لنشاطه ودوره الحيوي في الحياة كان يحظى بحب جم من جميع المواطنين في كل ما يقوم به من نشاطات ثقافية ووطنية.

ونظراً لجهوده وثقافته تبرع الألبان في موطنه بقطعة أرض كبيرة وأقاموا عليها مركزاً إسلامياً، وانتدب الشيخ/ عبد المالك – *Hilmi Abdylmaliq Efendija* للتدريس فيه، ثم تحول المركز إلى مدرسة شعبية غير رسمية، وكان الشيخ يقوم بتدريس النظريات الفلسفية القديمة والحديثة ويتبع آثار علماء الفلك والجغرافيا والعلوم الحديثة من الرياضة والفيزياء والكيمياء وغير ذلك15

ولاهتمامه بالتعليم والفكر والثقافة والتصوف كتب الشيخ كتباً عديدة في مجال الأدب تعنى بالتعليم والتربية في الإسلام، وهذه الكتابات جاءت في ظروف صعبة في فترة زمنية حالكة الظلام حيث كانت الكتابة باللغة الألبانية محظورة على الألبان بهدف تجريدهم من قوميتهم وسلخهم من لغتهم وأدبهم وثقافتهم وتغريبهم عن وطنهم وهم يعيشون فيه.

والشيخ/ عبد المالك – *Hilmi Abdylmaliq Efendija* قد أطلق عليه هذا الاسم (حلمي) من قبل

الشيخ العلامة الجليل/ يونس صبري وهذا يعنى الأناه والصبر، وكانت بينهما صداقة قوية حيث كان الشيخ/ يونس صبري أحد المشايخ الكبار في كوسوفا يقوم بنشاط أدبي مماثل16

وكتب الشيخ/ عبد المالك – *Hilmi Abdylmaliq Efendija* عدة قصائد شعرية أدبية (اثنان أو ثلاثة) منها باللغة العربية المستعملة في مدينة راهواتس، وقام بترجمة العديد من الكتب باللغات الشرقية إلى اللغة الألبانية.

ومن خلال كتاباته وقصائده يرى القارئ أنه يملك روحاً شعرية وصوفية وأدبية وتربوية عالية تشير إلى أنه كان يحفظ الكثير من أبيات الشعر القديمة، كما كان فيلسوفاً مشهوراً في الفلسفة الإسلامية وما يتعلق بها17.

ونظراً لثقافته وإبداعه وتأثيره في اللغة العربية في كوسوفا تم تجميع كل التراث الأدبي الذي كتبه ودونه والكتابات الأصيلة وترجمة كل ذلك، ولا يعرف عدد كتبه على التحديد التي تحفظ حالياً في المركز الإسلامي الذي بناه ودرس فيه التي منها:

[كتاب الآلف- وكتاب الديوان- وست عشرة رسالة – وكتاب واردات لبدر الدين سلطان الذي قام بترجمته من اللغة التركية إلى اللغة الألبانية].

ولا شك في أن جميع ما كتبه الشيخ أو ترجمه يحفظ كاملاً غير منقوص في هذا المركز. بل لابد وأن يكون قد لحقه ضرر قليل بسبب الأحداث العصيبة التي مر بها المسلمون الألبان في كوسوفا.

وانتهى أجل الشيخ وجاءه الموت وهو في بيته حيث كانت إقامته محدودة من قبل الصرب، لكنهم لم يتمكنوا من أخذ كتبه والاستيلاء عليها، وإنما احتفظ بها المواطنون الألبان لكي تكون وثائق تاريخية تشهد لهذا التاريخ بحبه للوطن، وانتمائه للغته وقوميته ، ومقدرته ونشره للأبجدية العربية ولغتها.

إن الشيخ حلمي عبد المالك أفندى من المبدعين الألبان الذين كتبوا الألبانية بالأبجدية العربية وأثروا في الحياة العامة للشعب الألباني، وتركوا في الشعب قيمة فنية وأيدلوجية كبيرة، وكان لأشعارهم أثر كبير في استمرار اللغة الألبانية والكتابة بها في أصعب فترات التاريخ ومراحله.

وفي كتاباتهم اطمئنان لقومهم بأن اللغة الألبانية مثلها مثل العربية والتركية تعبر عن دين الإسلام؛ لأنه يمكن ترجمة معاني القرآن الكريم وتفسيره إلى الألبانية.

واستمر الشيخ حلمي مع غيره من الأدباء من رابطة بريزرن في الدعوة إلى الله كمن سبقوهم في فترة البعث القومي، ولكن لظروف الحكم الصربي كانوا يكتبون الألبانية بالأبجدية

العربية، واستمر الحال كذلك في العشرينات وحتى الأربعينات من القرن العشرين وإن كان الوضع قد ازداد سوء.

إذن نلاحظ أن الشيخ/ حلمي عبد المالك ماليتشي أفندي يعتبر من أهم الشعراء والمتصوفة الذين كتبوا في اللغة الألبانية في الأبجدية العربية خلال العهد اليوغسلافي السابق، كما يعتبر أحد الشخصيات التي أثرت في انتشار الطريقة الملامية لدى الألبانيين الذين بنوا له تكية في بلدة راهواتس التي تحولت فيما بعد إلى مركز ثقافي نتيجة للنشاط الواسع الذي قام به الشيخ/ حلمي خلال حياته18.

وفي الواقع كان الشيخ/ حلمي يتمتع بثقافة واسعة تجمع بين الأدب والفلسفة والعلوم الطبيعية والتصوف، وبحماس كبير لنشر هذه المعارف في محيطه الذي كانت تسيطر عليه الأمية، ومع هذا الحماس حول التكية إلى مدرسة مجانية كان يعلم فيها الدين واللغة والجغرافيا، وغير ذلك لطلابه الذي فاق عددهم المائة.

وفي إطار هذه الدروس كان يركز بشكل خاص علي اللغة العربية، والكتب الدينية والنواحي الصوفية. ولدينا ما

يشير إلى أنه كان يقرأ مع طلابه الكتب العربية المختلفة التي قادته إلى التعرف على الفلسفة القديمة.

وإلى جانب هذا كان للشيخ/ حلمي نشاطه الإبداعي في مجال الشعر حتى أنه يعتبر من أفضل الشعراء الألبانيين في العهد اليوغسلافي القديم، وقد خلف لنا الشيخ/ حلمي مجموعة من المخطوطات الشعرية التي بقيت إلى الآن في حالة جيدة في تكيته. ويظهر منها نزعته الصوفية الملامية التي أثرت في الحياة الدينية، والثقافية، والإجتماعية، والروحية.

ومن أعماله الشعرية لدينا الديوان كما سبق ذكره الذي يحتوى على تسع وسبعين قصيدة ... وفي هذا الديوان يبدو بوضوح تأثر الشيخ/ حلمي بالشعر العربي إلا أنه يعتمد في قصائده على الأوزان العربية كما يلتزم دائماً بالقافية.

وما يثير في هذا الديوان أن الشيخ/ حلمي لا يمتاز هنا بالنفس الصوفية فقط بل نجد له بعض القصائد الذاتية أيضا ... ومن هذه لدينا قصيدة بعنوان : (حالة الفراشة) عن اقتراب فراشة من لهب شمعة واحتراقها، إلا أنه في هذه القصيدة لا يصف لنا هذا المشهد من الخارج بل من الداخل[19].

حالة الفراشة تدهشني
وهى تطير دون خشية
في اتجاه لهب الشمعة
كانت فراشة مضيئة
أضافت نوراً إلى نور
كما لو كانت تريد الاتحاد مع الأصل
كانت الشمعة تبتسم وتستغرب
فتأتيها الفراشة بهذا الفرح
لكي تغطس في اللهب [20]

الأبيات كما لوكانت تريد الاتحاد مع الأصل ، فلو حملت على المعنى الصوفي لدل ذلك عقيدة وحدة الوجود، ولو حملت على أساس أن الفراشة كأنها شعلة انبثقت من النار والنار الامل وعادت اليها بالاحترام وهذا له تاثير على الفكر الصوفي بخاصة عند أهل الاوفاق الروحانية ، فعندهم أصل الدنيا اربعة أشياء النار والماء والهواء والتراب.

- **وهذه لمحة موجزة عن بعض أعماله الأدبية والصوفية:**
  - **كتاب الألف:**

وهو كتاب يتحدث عن قواعد اللغة الألبانية وكيفية كتابتها باللغة العربية، وهو كتاب أصلي، وكان يستخدم أبجدية بها تسعة وعشرون علامة.

وفي هذا ما يشير إلى مقدرته على إتقان اللغة العربية وأبجديتها في تلك البقعة من العالم، ولا شك أن هذا الكتاب قد أثر تأثيراً مباشراً في حركة اللغة العربية في كوسوفا من حيث نشرها وتعلمها.

- **كتاب الديوان:**

وهذا الكتاب اسمه مشهور في التاريخ الأدبي الألباني على الإطلاق، ويضم مجموعة كبيرة من القصائد الشعرية للشيخ/ حلمي عبد المالك –*Hilmi Abdylmaliq Efendija* ، ولكن ليس كل ما كتب من قصائد؛ لأنه بدأ تجميعها في سنٍ متقدمة قبل فترة وجيزة من موته؛ ولأن الشيخ لم يكن يدون كل الحكايات التاريخية وشعره وحكمه ونصائح تربويه في كتب.

وقد كتب الشيخ في مقدمة كتابه(الديوان) باللغة الألبانية: (إن هذا الكتاب هو ما يحبه من الحلم والصبر والأناة).

والكتاب يتكون من سبعة وستين صفحة يمكن أن نخرج من خلالها بالكثير من الحكمة ولكن حتى الآن لم تجر أية

دراسات أو أبحاث عليه لاستخراج هذه الحكم، ويضم الكتاب بين دفتيه تسعا وسبعين قصيدة،منها واحدة باللغة الصربية المستعملة في مدينة *Rahovec*، وهذه القصائد مرتبة ترتيباً أبجدياً حسب الحروف التي تكون القافية المنتهية بها كل قصيدة.

وكان يستخدم اثنى عشر حرفاً فقط كقافية للشعر (اتبع اسلوب الأبجدية الهجائية الفباتا « أ، ب، ت، ث، ج ، ....الخ» وليس الابجدية العربية القديمة ذات الترتيب الآرامي « أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ...الخ»)، وحرف ألف استغرق تسع عشرة صفحة، وفي الصفحة العشرين قصيدة تنتهي بحرف الباء، وحرف التاء من صفحة واحد وعشرين حتى صفحة أربعة وثلاثين، وحرف الجيم من الصفحة الخامسة والثلاثين حتى السادسة والثلاثين، وحرف الفاء من الصفحة السادسة والثلاثين حتى الصفحة السابعة والثلاثين، وحرف الراء من الصفحة الثامنة والثلاثين حتى الصفحة الواحدة والأربعين، وحرف الكاف من الصفحة الثانية والأربعين، وحرف النون من الصفحة الثالثة والأربعين حتى الصفحة السادسة والأربعين، وحرف الهاء من الصفحة السادسة والأربعين حتى الصفحة الثامنة والأربعين، وحرف الواو من الصفحة الثامنة والأربعين

حتى الصفحة الخمسين، وحرف الياء من الصفحة الواحدة والخمسين ، وحرف الحاء من الصفحة الثانية والخمسين حتى الصفحة الرابعة والخمسين، وحرف الخاء من الصفحة الخامسة والخمسين حتى الصفحة الثامنة والخمسين، وحرف الواو مع الألف في الصفحة الثامنة والخمسين، وحرف القاف في صفحة لكنها لم تكتمل، وكذلك ترك بدون تمام صفحة لحرف اللام، وصفحات لحروف أخرى لم تتم.

صورة للأصل المحفوظ في الأرشيف21

وهذا دليل على أن قصائد الشيخ الشعرية لم تجمع كاملة في كتاب (الديوان) ويقول بعض الباحثين: أن الأوراق الأصلية لكتابات الشاعر يوجد بها خمس وعشرون قصيدة بإمضاء حلمي عبد المالك، والأوراق الأصلية لباقي القصائد لم تكن بإمضاء الشيخ/ حلمي ولكن لأشخاص آخرين. وكانت لغتها تختلف عن اللغة والصياغة المميزة للشيخ/ حلمي عبد المالك وبها أبيات فيها تغيير للشكل والمعنى، ولذلك لا يمكن إجراء دراسات على كتاب الديوان لعدم توافر كل الأوراق الأصلية له.

هذا ويتسم الشيخ/ عبد المالك – *Hilmi Abdylmaliq Efendija* بالروح الإسلامية حيث أنه دون فيه ما كان يحدث لقومه أثناء حرب البلقان وبعدها، وما حدث من استعباد لقومه من مملكة صربيا بعد عام **1912م**، وذكر الشيخ أن المملكة الصربية كانت تقضي على الأدب الألباني كما تقضي الأمراض المعدية والأوبئة على الناس.

ولأن الشاعر العلامة الشيخ/ حلمي كان يتحدث بلسان قومه عن أحداثهم وما يشغلهم لم يكن منسجماً مع الحكومة العالمية الأولى [النمساوية- المجرية] وقد مرت أيام

صعبة على المبدعين باللغة الألبانية عام ألف وتسعمائة وثمانية عشر 1918م، وكان الشيخ كمفكر يسعى لحرب تحرير الألبان، وكان يهاجم الدولة الصربية في هذه الآونه العصيبة، لهذا حددت الشرطة إقامته في المركز الإسلامي في مدينة *Rahovec* وتركوا له حرية الهجرة إلى تركيا فقط، وهذا قد جعل عدد الأفراد الذين يأتون إلى المركز الإسلامي يتناقص ويقل؛ لأن التجمع في المركز الإسلامي كانت تعده الحكومة تجمعاً سياسياً22.

وفي عام 1925م أصدرت الحكومة أمراً بحبس الشيخ/ عبد المالك واستندت إلى وثيقة بتوقيع عشرين فرداً ألبانياً أنه كان يكتب الشعر باللغة الألبانية، وفي هذا الوقت كان الشيخ/ عبد المالك قد بدأ في تجميع كتاب الديوان، لذلك لم ينته منه.

وفي الوقت الذي تحددت إقامته في المركز الإسلامي كان يتعرض لإيذاء شديد وممارسات تعسفية غير إنسانية من قبل البوليس الصربي، وكان الشيخ يكتب أشعاراً ويرمز عليها برمز الفراشة بدلاً من الإمضاء، وكان ينادي في تلك الأشعار بالحرية والنور ووحدة الأراضى الألبانية، ورغبته في اللقاء بمعارفه وأحبابه لنشر الأفكار التعليمية وحب الوطن.

ومن أهم ما كتبه الشيخ باللغة الألبانية بعد كتاب (الديوان) كتاب (الرسالة) وهذا الكتاب به حكايات وشعر أدبي تاريخي.

- **لمحة عن كتاب (الرسالة):**

هو كتاب يضم ست عشرة رساله ... **الأولى** بعنوان: (بيت الله حقيقي) وتتكون هذه الرسالة من تسع وثلاثين صفحة، وفي نهايتها كتب الشيخ (أدعو حلمي دائماً لله بدون وقف لكي تكون من الكاملين).

والرسالة الثانية: تدرس علم اللادون ، وتتكون من إحدى وعشرين صفحة، ويقول الشاعر عبد المالك حلمي: (إنني بدأت عمل هذه الرسالة باللغة الألبانية وسميتها مدرسة علم اللادون للناس الذين يعرفون قيمتها).

الرسالة الثالثة: يذكر الشيخ عنها أنها روح قليلة تتكون من إحدى عشرة صفحة، وقد كتب فيها: إن الفقير عبد المالك حلمي بدأها باللغة الألبانية وذكر فيها شوقه وعشقه لأهل البيت.

الرسالة الرابعة: واسمها (محبوبة للحبيب) وتتكون من اثنتى عشرة صفحة، ويذكر الشيخ في بدايتها أن عبد المالك

حلمي سيبدأ بإذن الله كتابة تلك الرسالة مع عشق القلب كي يذكرني التاريخ فيما بعد مع الأعلام من الكبار.

الرسالة الخامسة: كانت بمثابة ورد الشيخ/ حلمي عبد المالك ، وكان يرجو من الله أن يتقبلها منه، وكانت تتكون من خمس وعشرين صفحة، يتحدث فيها عن نور الله مع جلاله في العالم.

الرسالة السادسة: كانت وسط القلب، وتتكون من ثلاث عشرة صفحة، يقول فيها: (أنا الفقير عبد المالك حلمي بدأت هذه الرسالة باللغة الألبانية للعاشقين والمحبين لكي تعرفوا طريقة سيدنا محمد ﷺ – وكي تكون قريبة في مجالس الأولياء، ولتكونوا عارفين وأهل عرفان).

الرسالة السابعة: جاءت للتجديد– أى تجديد خطاب الأزل– وتتكون من خمس عشرة صفحة، وبداخلها ينادي المؤدب الشيخ الفقير عبد المالك حلمي: ماذا تريد أن تعمل، هو يشتغل باستمرار كما تعمل البنت بإبرتها في جهازها أو جهاز عرسها.

الرسالة الثامنة: تسمى عين الحقيقة، تتحدث عن الساعة – القيامة– وتتكون من ست صفحات، في البداية الكاتب يقول: (إنه بدأ ترجمة رسالة (نيازي) إلى اللغة الألبانية.[23]

الرسالة التاسعة: هى رسالة ديوان العرائس عند الحقيقة، وتتكون من تسع وعشرين صفحة، تتحدث عن الثقافة الإسلامية والأفكار الفلسفية الإسلامية التي تصلح للبلاد، يقول فيها: (فقير بدون شهرة في العالم عبد المالك حلمي).

الرسالة العاشرة: هى(حديقة حب) وتتكون من تسع عشرة صفحة، يقول فيها: (بالحب والمحبة يكون الفقير عبد المالك حلمي متصلاً بالله).

الرسالة الحادية عشرة: هى رسالة (الضيافة) وتتكون من ثلاث عشرة صفحة ينادي فيها الكاتب ويقول: (أرجو الله أن أكون قريباً من الناس، لهذا وضعت رسالة الضيافة كي أتحدث معهم، وسميت الرسالة « ضيافة حلمي»).

الرسالة الثانية عشرة: هى مساعدة الألبانيين، وتتكون من سبع صفحات، فيها يذكر الكاتب أن الله سبحانه وتعالى خلق تسعة عشر ألف عالم دقيقة بعد دقيقة تكتمل.

الرسالة الثالثة عشرة: هى(سفرة سيدنا علي) أو (طاولة سيدنا علي)، يقول الكاتب فيها: (تفضلوا كلوا منها) ، وتتكون من ثلاث وعشرين صفحة، كتب الشيخ فيها: (إن الفقير عبد المالك

حلمي يشعر بقلته عند الله وفقره إليه عندما ينظر إلى عباده، وأعمال سيدنا علي، ويخاف من العشق والحب عندما ما يذكر أسماء الصالحين، وبدأت هذه الرسالة باللغة الألبانية وسميتها « سفرة علي») ، سفرة علي « دليل على تأثره بالفكر الصوفي الإيراني ولكن ليس بالطريقة المباشرة ، ربما عبر معبر عن التصوف المصري والتركي الذي كان معبراً لهذا الفكر وبعض تأثيراته على الفكر والعقيدة الصوفية .

الرسالة الرابعة عشرة: رسالة لراحة الأرواح، وتتكون من ست عشرة صفحة، وهذه الرسالة لها صيغة فلسفية تصوفية، وبها أشكال مختلفة عن الفضاء، وبها رسوم مختلفة لأجرام سماوية، وتتحدث عن سر الشيخ/ حلمي عبد المالك التصوفي. رسالة لراحة الارواح كتاب ربما يعيد مفتاح الأعداد الفلكية لكتب الشيخ الاخرى في الاوفاق الروحانية والفلكية .

يقول بعض الباحثين: (إن تلك الرسوم نفهم أسرارها ، لكن على الأرجح كما فهمها البعض أنها رموز لحروف وأرقام عربية).

وقد ذكر الشيخ في هذه الرسالة أسماء عربية لرجال ونساء يمكن من خلال حروف أسمائهم واستبدالها بما ذكر في الرسالة من أرقام ورسوم معرفة تاريخ ميلاد كل منهم وعمره.

الرسالة الخامسة عشرة: تسمى (دعاء القلب) وتتكون من ثلاث عشرة صفحة، وتتحدث عن أوراد خاصة بالشيخ، لكي ينقل إلى الألبانية هذه الأوراد لتكون سهلة على إخوة الدين الألبان، وكان الشيخ يرجو من إخوانه أن يدعوا له ولا ينسوه في دعائهم، ولهذا سماه (دعاء القلب).

الرسالة السادسة عشرة: تلك الرسالة شرح لأوراد ودعاء سيدنا علي بن أبي طالب- رضى الله عنه وكرم الله وجهه- وتتكون الرسالة من ست وثلاثين صفحة ويقول الشيخ: (إنه يريد أن يكون لقلبه نصيب من ذلك الدعاء، لذلك سمى الرسالة (يا هو أوراد علي).

والرسالات مرتبة في الكتاب ترتيباً متناسقاً حيث تكمل كل رسالة ما قبلها، وتكون في مجموعها أيدلوجية.[24]

ونلاحظ في هذه الرسالات أن نشاط الشيخ/ حلمي عبد المالك الأدبية والعلمية غايتها حب الوطن ويتحدث في كل رسالة عن اللغة الألبانية، وغرضه من ذلك استمرار اللغة الأم، وزرع حب اللغة في قلوب المواطنين.

وبناء على ذلك نستطيع أن نقول إن الشيخ حلمي أفندي من رواد النهضة الصوفية في كوسوفا، ومن المشايخ الذين حافظوا على الطريقة الملامية وأنعشوها، إذ ظل طيلة حياته مناضلاً مكافحاً مغذياً الحياة الروحية والإجتماعية بالكتابات الصوفية، والأشعار التي تحمل في ثناياها الكثير من المعاني الرائقة الصوفية التي تتبعها الطريقة الملامية، وقد لعبت اعماله دوراً مهماً في تنمية المشاعر الإجتماعية والروحية، كما أدت دوراً بارزاً في العلاقات الدولية إبان حياته، ولازالت أعماله شاهدة على عبقريته كما أنها شاهدة على دور الفكر الصوفي في تقوية أواصر العلاقات بين البلدان والشعوب، فالحركات الصوفية تنتشر في جميع أنحاء العالم بلا استثناء، وهذه الحركات بينها تناسق وتناغم وتكامل لا يستطيع أحد أن يجهله، مما يجعل العلاقات قوية بين الشعوب، فلو نظرنا إلى شرق العالم العربي وغربه نجد الأوصر قوية، والطرق الصوفية تنتشر في هذه المنطقة بصورة منظمة وفعالة.

ولو نظرنا إلى العالم العربي والإسلامي وبين أوروبا خصوصاً أوروبا الشرقية وعلى الخصوص منطقة البلقان لوجودنا العلاقات قوية ومؤثرة بين الطرق الصوفية ففي العالم

وفعالة لتنمية العلاقات بين البلدان والشعوب خصوصاً في منطقة الشرق الأوسط ثم منطقة البلقان التي دخلها العثمانيون وتأثرت تأثراً مباشراً بروافد الفكر الصوفي.

وكوسوفا كبلدة تقع في قلب البلقان قد دخلها التصوف قديماً، ونتيجة لرقة قلوب شعبها وعاطفته الدينية، وتسامحه العظيم، اعتنق الكثير من أبناء كوسوفا التصوف كمنهج للحياة الدينية المعتدلة والمنظم لشئون العبادة.

وظهرت نماذج عديدة أبهرت العالم في الفكر الصوفي من بين هذه النماذج الشيخ الكبير والصوفي الملامي الشيخ حلمي عبد المالك أفندي الكوسوفي الذي نبع وبرع في العلوم العربية والإسلامية وبلغ شأواً كبيراً في التصوف الإسلامي الصحيح، هذا الشيخ الكبير الذي تصوف على طريقة الملامية، وقضى حياته في الجهاد والكفاح من أجل المباديء والقيم الإسلامية والحفاظ على هويته وقوميته الألبانية، وتمكن هذا الشيخ بحسه الصوفي أن يستقطب الجماهير الغفيرة من أبناء الشعب الألباني في كوسوفا وغيرها من منطقة البلقان، فنال إعجاب الكثير، وحظى باهتمام بالغ وحب شديد، ثبت الثقة في نفوس المتصوفة في عصره وبعده، واستطاع هذا الشيخ في نضاله أن يحقق

إنجازات ثقافية وحضارية تشهد له بالتفوق والنبوغ، ولم يتوقف لحظة واحدة عن العمل الفكري والصوفي حتى حقق آمال واسعة من طموحات الشعب الألباني، الأمر الذي كان له أثر ملحوظ في تقوية العلاقات الدولية بين كوسوفا وغيرها من بلدان العالم.

فقد كان هذا الشيخ – رحمه الله – إماماً صوفياً أديباً لغوياً مجاهداً ضرب أروع الأمثلة للعلماء المجاهدين، وللصوفية الحقيقيين، الذين يسخرون جهودهم وإمكانياتهم في سبيل خير البشرية وحرية الأوطان، والحفاظ على حقوق الآخرين حتى لو اختلفت الديانات وتباينت الجنسيات.

إن الشيخ عرف التصوف في صورته الحقيقة فتبناه ونسج على منوال شيوخه الملامتية، ليبني الأوطان، ويسمو بالفكر والثقافات، وتحقيق الخير للبشرية جمعاء.

فحق لأهل التصوف أن يعتزوا بتصوفهم، وأن يعززوا روافد هذا الفكر، وأن يتذكروا رواده، وينشروا أفكارهم على الناس، ليعلم الجميع أن التصوف مجال مهم لا يستهان به في العلاقات الدولية.

الهوامش:

[1] عن الطريقة الملامية (أوالملامتية) انظر : أبي عبد الرحمن السلمي، أصول الملامتية وغلطات الصوفية، قدم له وحققه وعلق عليه عبد الفتاح أحمد الفاوي محمود، مطبعة الإرشاد، القاهرة، **1985**؛ عبد الله البسنوي: مرآة الأصفياء في صفات الملامتية الأخفياء وعلو شأن الأولياء، تحقيق وتعليق أحمد فريد المزيدي، دار الحقيقة للبحث العلمي، القاهرة ، **2007**؛ أبو العلا عفيفي، الملامتية والصوفية وأهل الفتوة، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي ، القاهرة، **1945**.

[2] *Baba Rexheb, Misticizma islame dhe bekashizma,Urtësia,Tiranë,**2006**,f.**114**.*

[3]*Hc. Davud Ylmaz: Seeyid Muhammed Nir'ul Arabiyyul Melami, Fq.**114**.*

[4] *Hc. Davud Ylmaz: Seeyid Muhammed Nir'ul Arabiyyul Melami, Fq.**132**.*

[5] إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين أسماء المؤلفين واثار المصنفيين، المجلد الثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، **1955**م، ص**386**.

[6] *Tahir Disdari, Fjalori i orientalizmave në gjuhën shqipe, Instituti shqiptar i mendimit dhe i qytetërimit Islam,Tiranë, f.**638***

راجع : بكر إسماعيل الكوسوفي، أثر الأدب الألباني في الأبجدية العربية في ***7*** كوسوفا، القاهرة، **2003** م، ص **37**.

[8] *Sipas Prof. Milaim Shehu pasardhesit te Teqes se Melamive Gjakove me **4** Gushte **2009**.*

[9]راجع : بكر إسماعيل الكوسوفي، أثر الأدب الألباني في الأبجدية العربية في كوسوفا، القاهرة، **2003** م، ص **69**.

[10] *Arkivi i Teqes së Shejh Hakiut Gjakovë. .(Më tejë) ATSHHGJ.*

***11** ATSHHGJ.*

[12] *Idriz Vuçiterna : Dituria Islame,Revistë mujore fetare, kulturore e shkencore,fq.**43**,Viti XI,Nr.**72**,Shtator **1995**,Prishtinë.*

[13] راجع : بكر إسماعيل الكوسوفي : الشيخ/ حلمي عبد الملك أفندي و أثره في اللغة العربية ، مقال في جريدة الحياة المصرية ، القاهرة بتاريخ [**01**/ **02**/ **2009** م].

[14] راجع : بكر إسماعيل الكوسوفي، أثر الأدب الألباني في الأبجدية العربية في كوسوفا، القاهرة، **2003** م، ص **88**.

15[*Muhamet Piraku : Gjurmë të veprimtarisë letrare shqipe me alfabet arab në Kosovë,fq.**227**,Gjurmime albanologjike-Seria e shkencave filologjike,IX-**1979**,[Instituti Albanologjik i Prishtinës,Prishtinë,**1980**.*

[16] راجع : بكر إسماعيل الكوسوفي ، مختارات من موضوعات الأدب الألباني، القاهرة، ص **194**.

[17] *Idriz Vuçiterna : Dituria Islame,Revistë mujore fetare, kulturore e shkencore,fq.**36**,Viti V,Nr.**25**,Maj **1991**,Prishtinë.*

18راجع : بكر إسماعيل الكوسوفي ، أثر الأدب الألباني في الأبجدية العربية في كوسوفا ، القاهرة، **2003** م، ص**98**.

[19] راجع : بكر إسماعيل الكوسوفي ، مختارات من موضوعات الأدب الألباني، ص **212**.

[20] *Gjurmë të veprimtarisë letrare shqipe me alfabet arab në Kosovë,fq.**235**,Gjurmime albanologjike-Seria e shkencave filologjike,IX-**1979**,[Instituti Albanologjik i Prishtinës.*

[21] *Biblioteka Publike Speciale “ Isra “ : Nr.**969/45**,Më:**28.08.2002**,Prizren,Kosovë.*

[22] *Idris Ajeti : Kërkime gjuhësore,fq.**119**,b.Rilindja,Prishtinë,**1978**.*

[23] *Muhamet Piraku : Gjurmë të veprimtarisë letrare shqipe me alfabet arab në Kosovë,fq.**234**,Gjurmime albanologjike-Seria e shkencave filologjike,IX-**1979**,[Instituti Albanologjik i Prishtinës,Prishtinë,**1980**.*

[24] راجع : بكر إسماعيل الكوسوفي ، أعلام الفكر الألباني المعاصر ، ص **287** ، ط.آلبا برس [مكتب كوسوفا في مصر] ، القاهرة **2005** م.